(نوح) سُمّي باسم نوح احد نصارى ربيعة وهو نوح بن مُجلد ورد ذكرهُ في أسد الغابة (٥ : ٤٥) . وذكر في الاغاني (٢١ : ٩٠) رجلًا دعاهُ بابن نوح كان في اوائل الاسلام

(هارون) لم يحضرنا اسم احد من الجاهليّة دُعي بهارون . ولعلّ هارون بن النعمان بن الاسلت الاوسي (الاغاني ١٥ : ١٦١) الذي كان في اوائل الاسلام سُمي بهِ قبل الاسلام

(يَعقُوب) كان من شهداء طور سينا سنة ١٧٣ المئى يعقوب . وذكر ابن الاثير (اسد الغابة ٥ : ١٢٧) بهذا الاسم من اهل الجاهليّة الذين أسلموا يَعقوب بن اوس ويَعقوب بن الحُصَين ويعقوب بن زَمَعة ويعقوب القبطي . وذكر في الاغاني (٤ : ٦٤) من جملة المغنين في اوّل عهد الاسلام يعقوب بن الحبّار

(يُوسف) عُرف بهذا الاسم احد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sanctorum, III Apr., p. 19) . ومن المدعوّين بهِ يوسف بن الحكم الثقفي وكان في اوّل ظهور الاسلام . وذكر ابن الاثير (٥ : ١٣٢) يوسف الفهري من جملة الصحابة

(يونس) هو اسم يونان النبيّ . وذكروا بين الانصار يونس بن شدّاد الازديّ ويونس الظفَري الاوسي (اسد الغابة ٥ : ١٣٢) فالاسم سبق الاسلام . والدليل عليهِ ايضاً اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعُرفوا باسم يونس (Jonas) . ولعلّ هذا الاسم اذا شُدّدت النون يراد بهِ اسم يوحنّا النصراني على لفظ اليونانيّة (Ἰωάννης) والله اعلم (لهُ بقيّة)

مدرسة الحقوق الرومانية في بيروت

لحضرة المسيو پول هوڤلين احد اساتذة مكتب الحقوق في ليون

هو الخطاب الذي ألقاهُ في حفلة افتتاح مكتب الحقوق الفرنسويّ الجديد اللاحق بكليّتنا في ١٩ من الشهر المنصرم بتصدُّر سعادة الاميرال بوى دي لابيرير القائد العام لاسطول البحر المتوسط الفرنسوي وحضور دولة مصرّف لبنان قيربجيان باشا وسعادة قنصل فرنسة العام المسيو كوبه وممثل دولة والي الولاية ومدير مكتب الحقوق السلطاني في بيروت مع اركان وضبّاط الاسطول ونخبة من اصحاب الرجاحة وارباب العلم والادب في مقدّمتهم رؤساء رهبانيتنا ومديرو المدارس في بيروت . فبعد ان رحّب الخطيب بالوافدين أعلن عما تبنيه

فرنسة وبلاد الشرق من الآمال الطيبة على مكتب الحقوق الجديد الذي عُقدت هذه الحفلة لافتتاحه فيأتي كالمكتب الطبي الذي سبقهُ بالاعمال الجليلة لخير الوطن وخدمة ابناء الشرق. ثم تخطّى الى ذكر مدرسة أخرى شاعت في العالم الروماني وشرّفت مدينة بيروت مدّة ثلثة قرون بتيه اعني مدرسة الحقوق الرومانيّة فافاض في الكلام واجاد ثمّ وجد في تلك المدرسة خير ضامن لنجاح المكتب الجديد ودونك تعريب خطابه:

ليست هذه المرّة الاولى حظيت بيروت بمدرسة للحقوق فانّها في سالف الزمان اضحت مركزاً ممتازاً لتعليم الشرائع ولعلّ اهل عصرنا قد فاتهم ذكر ذلك العهد العلميّ لمرور خمسة عشر او ستّة عشر قرناً على تاريخهِ وكانت الدولة الرومانيّة في ذلك العهد كما تعلمون باسطةً سلطانها على انحاء العالم المتمدّن المتدّ حوالي البحر المتوسط فتسنّ بشرائعها على امم متباينة كثيرة الاختلاف وتنشر بينها مع « سلامها الروماني » فنّ حقوقها

واذا امعنّا النظر في دستور الرومان وجدناهم قد احسنوا تأليفهُ فكادوا ان يجعلوهُ في وثاقتهِ شبيهاً بابنيتهم العجيبة وقد ركّبوا اجزاءهُ بمواد صمّاء متراصّة حسنة الالتحام تستطيع الدهر على آفات الزمان. ولم يخالف ذلك العملُ ظنّهم والدليل عليهِ انّ الدستور الروماني ثبت مع توالي الدهور ولا يزال ثابتاً. فانّ اصول الحقّ الروماني جاريةٌ حتى يومنا في شرائع الدول الحاليّة وهي تُعرف بخواصها كشمولها للاحكام العموميّة ووضوح صورتها والتوازن الذي يلوح فيها بين لزوم اصحابها للنظريّات وفهمهم للضروريّات العمليّة بحيث يصحّ القول انّ الحقّ الروماني اضحى الركن المتين لكلّ الآداب الشرعيّة ولتعليم الفقه المدرسيّ

فهذا الدستور قد وجد في سوريّة منذ القرن الثاني للمسيح مقاماً ممتازاً يوافق نشرهُ في التعليم. ولعلّ القياصرة الرومانيين المولودين في بلاد الشام واوّلهم سپتيميوس ساويروس الذي جلس على عرش الامبراطرة سنة ١٩٣ اخذوا في صحبتهم الى رومية قوماً من مواطنيهم ادخلوهم في محاكمهم ونظموهم في اهل شوراهم. واذ كان هؤلاء الرجال ذوي عقول نيّرة اضحوا بعد قليل فقهاء نطاسيّين برزوا بين رصفائهم. ومما يُذكر فيُشكر ان رجلين من اكبر الفقهاء الذين خلّد التاريخ اسمهم بالثناء العاطر كانا من اهل الشام واحدهما يُدعى أُليان (Ulpien) وهو اوسع مشاهير كتبة الفقه تأليفاً واوفرهم علماً اصلهُ من مدينة صور التي يدعوها في بعض كتبهِ

« مستعمرة فينيقية البهيّة ». اما الآخر فيُدعى پاپينيان (Papinien) وقد فاق على امثاله بعقله الثاقب ونظره البعيد وهو يُعَدّ كتابة فنّ الحقوق وتسييج وحده في ردّ قوانين الفقه الى اصول عمومية تربط شوارده. وكان الامبراطور سلويروس صهر پاپينيان تزوّج اخته يوليا دومنا الحمصيّة والمرجّح انّه كان مولودًا في حمص مثلها. ومنه يتّضح انّ سوريّة انشأت احد الاساتذة المتقدّمين في علم الحقوق ان لم نَقُل إمامهم جميعاً حتى يومنا. هذا العمري من شأنه ان ينبّه همّة طلبة مكتبتنا وأملنا ان تسيروا على آثار آبائكم ومن اشبهَ اباهُ ما ظلم لاسيّما انّ احوال جوّكم لم تتغيّر وانّ دم اجدادكم يسيل في عروقكم فلا غرو ان تأتي التربة الواحدة بالشبه عينه فيحيا السلفاء في خلفائهم

ويوسعنا أن نضيف الى الفقيهين السابقين رجالًا شرّفوا سوريّة مثلهما بمعارفهم الفقهيّة. فانّ المرجّح مثلًا انّ كورديوس تريفونينوس (Cl. Tryphoninus) الشهير بصنّفاته في الحقوق كان سوريّ الاصل وقد نالته الدولة سنة ٢١٣ منصباً شريفاً في بيروت

وليس بالمستبعد انّ هؤلاء العلماء بشهرة مآثرهم ألفتوا الى وطنهم نظر الدولة فأنشئت فيه مراعاةً لجانبهم مدارس الحقوق وان لم يمكننا القطع بهذا الامر. ومما لا ريب فيه انّ الحكومة الرومانيّة اختارت سواحل الشام لالقاء هذه الدروس في اوائل القرن الثالث المسيح. فاشتهرت مذ ذاك الحين مدرستان كان مقام الواحدة منها في مدينة قيصريّة الواقعة بين يافا وحيفا. وهذه لم تُبقِ لنا من مآثرها الّا الذكر القليل. اما الثانية التي نحسن معرفتها فكان مركزها في بيروت المدعوّة عند الرومان « بمستعمرة يوليا اوغستا السعيدة بيريتوس »

فما فتحت مدرسة بيروت ابوابها للطالبين حتى اصابت بزمن قليل شهرةً مستفيضة ونجاحاً كبيرًا كما تشهد على ذلك كتابةٌ لاتينيّة تاريخها سنة ٢٣٨. ثمّ أيد ذلك في اواسط القرن الرابع مؤلف كتاب وَصْف العمور (Expositio totius mundi) الشبيه بدليل بديكر في عهدنا فكتب عن بيروت ما تعريبهُ: « بيروت مدينة غاية في البهجة (valde deliciosa) فيها مدارس للحقوق لتعليم كل الدستور الروماني واليها يتوارد الطلبة لأنّ فيها يتخرّج المحامون القانونيّون لمحاكم العالم كلّه. . »

وبلغت هذه المدرسة في اواخر القرن الخامس للميلاد مقاماً رفيعاً فاقت به على مدارس القسطنطينيَّة ورومية. ولمَّا ألغى الملك يستنيان بعض المراكز العلميَّة التي رآها سيِّئة النظام كمدارس أثينة والاسكندريَّة وقيصريَّة لم يترك سوى مدرسة بيروت لتكون بين مدرستي رومية والقسطنطينيَّة حاضرتي الدولة الرومانيَّة. ومع ما أُصيبت به بيروت من النكبات لم ينطفئ نبراس تعليمها حتى بعد الفتح الاسلامي. بل نجد في التاريخ بعض آثار حركتها العلميَّة الباقية من عهدها القديم الى القرن الثامن

ولا غرو انَّ نظام مدرسة الحقوق الرومانيَّة في بيروت كان حريًّا بالاعتبار لولا انَّ آفات الدهر لم تُبقِ لنا تفاصيلهُ الدقيقة. وما نعلمهُ من ذلك انَّ العمدة المدرسيَّة في عهد الملك يستنيان كانت تتركَّب من اربعة معلِّمين كانوا يدرِّسون الفقه في اللغة اليونانيَّة ويلتذيهم الامبراطور نفسهُ لهذه المهمَّة. وكان للتلامذة اختصاصات جمَّة ويدوم درسهم اربع سنوات فالسَّنة الاولى كانوا يُدعَون باسم هَزْلي (dupundii) معناهُ تقريباً « ذوو المثاليكين » تشبيهاً لهم بالمتجدِّدين حديثاً في الجيش الذين كانت اجرتهم اليوميَّة في سنتهم الاولى تساوي المثاليكين في عصرنا. وكانوا في السنة الثانية يدرسون قوانين القضاة والحكَّام فيُطلَق عليهم لذلك اسم القانونيين (edictales). وكانوا يسمَّون في السنة الثالثة اصحاب پاپنيان (Papinianistae) لدرسهم الدستور الذي صنَّفهُ هذا الاستاذ الشهير. امَّا السنة الرابعة فكانوا معافين من حضور الدروس فيدعونهم لذلك باسم يونانيّ معناهُ الاحرار (Autae)

ولمَّا تولَّى يستنيان الملك اصلح شيئاً من امور الدارسين وغيَّر نوعاً ألقابهم وسعى في ضبط نظام المدرسة. ولا مراء انَّهُ لم يُقدم على هذه الاصلاحات الَّا لدواعٍ اضطرَّتهُ اليها. والحق يقال انَّ بعض النصوص التاريخيَّة التي روت لنا اخبار مدرسة بيروت وصفت ايضاً تلامذتها بالبَطَر والجموح فتضايق المعلِّمون من تحاملهم عليهم وشغبهم في اثناء الدروس كما انَّهم كانوا يتطاولون على الطلبة الجدد فيؤذونهم بسخرياتهم. ولنا على ذلك شاهد عيانيّ لطيف روى لنا ما جرى لهُ يوم دخوله في مدرسة بيروت النقويَّة. ألا وهو زكريَّا الاستاذ (Zacharias Scholastikos) الذي كتب بالسريانيَّة ترجمة حياة ساويروس زعيم اليعاقبة واوَّل بطاركتهم الدخلاء. وكان رفيقهُ في الدروس فاخبر انَّ ساويروس سبقهُ الى مدرسة بيروت في خريف سنة

٤٨٧ للميلاد فتبعهُ ذكريًّا السنة التالية اعني في خريف سنة ٤٨٨ فوجد ساويروس في صفّ القانونيّين قال :

ولمَّا قدمتُ الى بيروت لادرس الحقوق كنتُ موجسًا خوفًا من مداعبات تلامذة الصفّ الثاني المروفين بالقانونيّين التي اعتادوها مع الطَّلَبة الجدد وهي مهارجات يملؤهم بها اضحوكةً بازاء أتراجم وان لم تبلغ سخريًا تُهم الى حدّ الأذى . وكنت اخشى على الاخصّ من ساويروس الذي عُرف بعد ذلك بحسن سلوكهِ أن يتخفّ بي وكنت افكّر قائلًا في نفسي : ساويروس فتيُّ السنّ فلا بُدَّ ان يجري على آثار رفقتهِ ويجزأ بي . فلمَّا دخلتُ مدرسة لاوتيوس ابن افدوكسيوس الذي كان يعلّم الحقوق ويعتبرهُ الطلبة اذ ذاك اعتبار لعلم فضلهِ رأيتُ بين الدارسين ساويروس جالسًا عند اقدام الاستاذ ناصتًا الى تلاوته فليس فقط لم يجزأ بي بل عاملني بكل لطف وتحفّى بي وسلّم عليَّ آنسًا بوجه بشوش فشكرتُ الله على هذه النعمة الوافرة

فهذا الكلام يشير الى عادات طلبة مدرسة الحقوق في ذاك العصر ولا غرو ان كثيرًا من الدارسين الاحداث لم يحفظوا كزكريا برفقة كساويروس أنسوا بهم بل صادفوا شبّانًا خفاف الطباع انتهزوا الفرصة ليذيقوهم الامرّين بضروب الهزل والسخريّة

ولكن دَعْنا من ذكر هذه المداعبات الدالّة على نزق شبّان ذلك العصر لنبيّن ما صار لمدرسة الحقوق البيروتيّة من النفوذ نظريًا وعمليًا . ومن المقرّر في عهدنا انّ الحقّ الروماني الذي كان شائعًا في آخر اطوار الدولة الرومانيّة كما اثبتهُ يستنيان في دستورهِ وصار بعد ذلك ركنًا للشرائع المستحدثة هو نتيجة امتزاج الحقّ القانوني الايطاليّ القديم المعروف بخشونتهِ وضيق دائرتهِ بالدستور الجاري في الاقاليم الشرقيّة المصبوغ بصبغة يونانيّة وهو اكثر مرونةً واوسع مجالًا . والفضل في اندماج الدستورين انّما هو عائد الى مدرسة الحقوق البيروتيّة التي مهّدت الطريق لذلك برفق مع تعادي الزمان . ويشهد على هذه المساعي المشكورة كتابٌ عجيب يُعزى الى كاتب من هذه البلاد يتشئّن العادات المألوفة قديمًا فيها وهو يُعرف بالكتاب السوريّ الروماني وكنت وددت لو يسمح لي الزمان برواية بعض فصولهِ . ولنا على قولنا ادلّة اخرى اخصّها اشارات متعدّدة تُقرأ في معظم تآليف الحقّ البوزنطيّ

وقد اتّسعتُ في هذه الفوائد التاريخيّة حتى كاد يعيل صبركم لكنَّ لطفكم يمهّد لي المعذرة . فليت شعري أيستطيع احد اساتذة الحقوق مثلي ان يلقى بازاء عينهِ

صورة بإبنيان دون ان يُترى السلام شيخ فنّ الحقوق ولا سيما انا قائم في هذا المحفل لا بشركم بافتتاح مدرسة اتوسم فيها النجاح فتفتخر بكونها سليلة تلك المدرسة السالفة ومحيية ان شاء الله آثارها الطيّبة

*

فمدرستنا هذه الجديدة تنتمي اذن الى رومية حيث كان أجدادها من الرومان ولكنها فضلاً عن ذلك هي ابنة فرنسة ايضاً لأنّ لها دعوةً انتدبتها الدولة الفرنسوية الى انجازها. وان سألتم ما هذه الدعوة التي عهدت بفرنسة الى ان تحيي بينكم رمم تلك المدرسة الطامسة الآثار منذ قرون عديدة أجيبكم أنها الدعوة ذاتها التي عهدت اليها اعني نشر دستورها الذي هو مثال دستور العدل والاخاء في اقطار العالم. وهي لعمري دعوة غاية في الشرف يشهد عليها التاريخ. فانّ فرنسة منذ ثلثة اجيال قد عُرفت كموطن الحقوق. وقد دوّنت موادّ تلك الحقوق في دستورها الذي يفوق على كل دستور سواهُ بنفوذه وانتشاره فترى احكام نويس الرابع عشر في الدعاوي المدنيّة (سنة ١٦٦٧) وفي الدعاوي الجنائيّة (١٦٧٠) وفي المعاملات التجاريّة (١٦٧٣) وفي نظام البحرية (١٦٨٠) قد اثّتست بها معظم الدول. وقد شاع على الاخصّ في انحاء العمور دستورنا الفرنسويّ الكبير الصادر في مفتتح القرن التاسع عشر. فتتأدّتهُ الدول كانّ فرنسة لم تضع سُنّتها لبلادها فقط بل لكل اهل الارض المتمدّنة

والحقّ يقال انّ الشرع الفرنسويّ قد استوطن معظم الدول فدخل في دساتيرها حيناً بالنقل الصريح وحيناً بالاتصال والنفوذ. ويحسن بنا ان نذكر هنا انّ اقساماً كثيرة من الدستور النمساوي وعلى الاخصّ قوانين التجارة وقوانين الدعاوي التجاريّة وقوانين الدعاوي المدنيّة وقوانين الدعاوي الجنائيّة هي منقولة عن شرائعنا الفرنسويّة. واكثر ما اقتفوا به على آثارنا انّما هو القانون المدنيّ. فانتشار دستورنا هو شرفٌ لم ينالهُ شعب غيرنا منذ انتشار الحقوق الرومانيّة. فيحقّ بنا ان نفتخر بهذه الميزة التي أولت فرنسة التقدُّم الادبيّ والاجتماعي منذ القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر. أفلا ترى انّ بروسية مثلاً لو امكنها نشر قانونها الذي ابرزتهُ سنة ١٧٩٤

في اواسط اوربة لكانت افتخرت بذلك ولا حرج . فلمَ لا تفتخر فرنسة بما نالهُ دستورها من الانتشار أفليس هذا دليلًا باهرًا على انَّ الشرع الفرنسويّ باتساعهِ يصلح لعموم الشعوب فيتجاوز حدود بلادنا ويخرج عن دائرة المصالح الوطنيَّة الخاصَّة فيُفيض منَّتهُ السابغة على بقيَّة البلاد . وخلاصة القول يجوز ان يُدعى الدستور الفرنسويّ دستور البشريَّة عينها

ومن هذا يتَّضح انَّ فرنسة وطننا قد اصبحت مهذِّبةً للشعوب فهي هي التي تنشر اصولًا عدليَّة ارفع قدرًا واوسع كرمًا ومبادئ حقوقيَّة ادقّ ضبطًا واشدّ قوَّة واغزر ثمرًا . وغاية ما تعهد به الى علماء حقوقها أن يسعوا في ترقية الذمَّة القانونيَّة . وايمُ الله انَّ هذه الدعوة لشريفة جدًّا وخالصة من كلّ طمع شخصي لأن غايتها منزَّهة عن كل المنافع الماديَّة اذ لا تقصد قصدًا آخر سوى رفع شأن الآداب بأن تجعل كل الصوالح الماديَّة تحت حكم الحقوق المنظَّمة الثابتة

وان كانت فرنسة تقوم نوعاً بتحقيق هذه الدعوة السامية في كل البلاد فلها اسباب خصوصيَّة تدفعها الى نشرها في جهات الشرق لأنَّ الصداقة تدعو قبل كلّ الى خدمة الصديق . ولا يجهل احد من الحضور امرًا يسرُّنا تكرارهُ والمجاهرة بهِ ألا وهو الوداد الخاص الذي يربط الدولة العليَّة بفرنسة منذ زمن قديم . وقد سبقت فرنسة وسعت في نشر المعارف والعلوم على يد عدد عديد من اولادها الذين وقفوا حياتهم على تهذيب الشبيبة في انحاء الشرق من ضفاف نهر الطونة الى ضفاف النيل والفرات فبواسطتهم نال انتشارُ الفرنسيّ السَّبق على سواهُ وتوفَّر عدد حتَّم أفلا ينبغي أن نتمم هذا العمل فنفتح للذين تعلَّموا لغتنا الفرنسيَّة وسائل جديدة ليستفيدوا منها ؟ أفلا يُرضي عيننا بان نساعد أصحاب تمدُّننا ونرشدهم الى السيرة الفضلى ؟ او نستطيع أن نترك مدارسنا الاوَّليَّة والثانويَّة دون ان نعزِّزها بانشاء مكاتب للدروس العليا ؟

وقد تقدَّمنا في هذا المشروع الجليل رجالٌ افاضل خدموا الوطن خدماً لا يُحصى قدرُها ألا وهم الآباء اليسوعيُّون مديرو المكتب الطبي وكُنتُ اودّ ان اتَّسع في ما اعرفهُ وما يعرفهُ الجميع من عظم فضل اصحاب هذا المكتب الجليل الذي سبقنا لولا اني لعالمٌ باني قائمٌ بينكم خطيباً في دارٍ هي دارهم كانت في الامس مهد مكتبهم

الطبي وهي اليوم مهد مشروعنا الجديد فضلاً عن علمي بأنّ مساعيهم ستتّفق مع مساعينا واني اتكلم هنا باسمهم ايضاً . .

على اني استطيع ان اقول ولا تأخذني في ذلك لومة لائم بأن مكتبنا الحقوقي موطّن عزمهُ على السير في الطريق التي نهجها المكتب الطبي ليخدم الوطن كما خدمهُ فمنذ الآن اذن تبتدئ مدرسة للحقوق حتى تجري مع المدرسة الطبيّة جري خيل الرهان وسيوازرها مكتب آخر للمهندسين تتمّ به حلقة العلوم والفنون وقد باشروا في هذه المدّة الاخيرة بدروس اعداديّة لهذه الغاية . وعلى هذا المنوال لا تعود الناشئة الوطنيّة تحسد شبيبتنا الفرنسويّة اذ يتخرّج اهل الشرق في بلادهم ولخدمة وطنهم العزيز فيقومون باعباء المناصب التي تنتظر امامهم فيخرج من هذه المكاتب رجال افاضل منهم اطبّاء ومنهم ارباب عمل وتجار ومحامون قانونيّون ومدبّرون ومهندسون وصناعيون فيتبارون جميعاً في رفع شأن بلادهم وتوسيع نطاق ثروته وقوّته ورونقه . فنحن اذن ساعون بان ننشئ هنا مشروع حياة وسلام بينما نرى الكثيرين في زماننا لا يسعون الّا في الخراب والدمار . واذا ما ازدادت بذلك اواصر الصداقة وعوامل الولاء التي تجمع بين فرنسة والدولة العثمانيّة عموماً وسوريّة خصوصاً وتوثّقت عُرى حبّنا القديم لاهلها تحقّقت آمالنا وفُزنا بأقصى المرام

رحلة الى معادي الخبيري

للاديب نعمان افندي ابي ناضر

دفعني حبّ البحث والاستقصاء وخدمة قراء المشرق ان ازور المعادي الخبيري بغية ان اقف على آلة قيل لي انها تستخدم حرارة الشمس لاستخراج الماء من الارض وتدير الدواليب (الماكينات) فقصدتها وصديقاً حتى بلغناها وقد هجّر النهار فوقعت عيناي على شبه قرية صغيرة ولا اسميها قريةً تعظيماً لشأنها لما بها من الابنية الفخيمة والحدائق الغنّاء موقعة بين الكلا الاخضر على ضفاف النيل وكلّها مبنية على الشكل الهندسي الانكليزي ممّا يدلك على ان اولاءك القوم اينما حلّوا اماروا حضارتهم وصناعتهم وسعوا لاحداث ما يعيد اليهم ذكر بلادهم من مثل ابنية